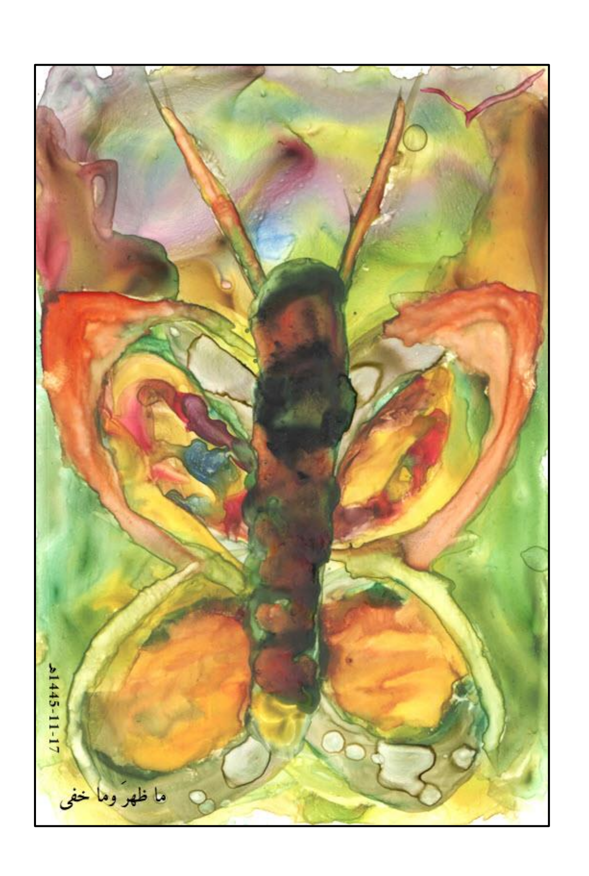
ما ظهرَ وما خفى

حلمي صابر – ذو القعدة ١٤٤٥هـ



لماذا نخافُ أن نتكلم ؟!

لم الخوف ونحن إلى إسلامنا وعروبتنا ننتمي

هي أرضي وأهلي ووالدتي ووالدي

لم بلساني تقتلعني !

ولم بكلامي تكسر أضلعي !

لستَ أنتَ مطالبٌ بأن تسمعني

قد أكون مصيبا فلِمَ بالحبسِ تعاقبني ؟!

وحتى لو أخطأتُ تحبسني

ما هذا الميزان ! فارغ أم مليء ، يخسني ؟!

فدعني وشأني

ليس الأمر كما يبدو لأول وهلة

وليس الأمر كما بدأ ينتهي

يرقةٌ صارت فراشة

وشابٌ صار شيخا

وفتاةٌ صارت كهلة

حتى أنهم نسوا أسماء أولادهم ، ونسوا أنفسهم

كان صغيرا يقفز على الجدران

وينزل مسرعا من الدرجات

واليوم هو على العصا متكئا

وينزلُ من الدرجِ خطوة بجانبها خطوة

هزيمة صارت نصرا

ونصر صار هزيمة

وسمعٌ صار بُكما

وبصرٌ صار أعمى

وأعمى ازداد عميا

وعالم ازداد جهلا

كل شيء يتغير

فلا تبهركَ اللحظة الأولى

انتظرْ اللحظةَ الأخرى

تلك الجميلة التي خطفتْ عينيك

ذرتها الرياح

أصفرتْ وتيبستْ وعلى العكاز اعتمدتْ

وذلك الخد المشمشي تجعَّد

فأين التي عليها أرعدتَ وأبرقتَ ولربما لأجلها قاتلتَ

سكنت قبرها وصارت ذكرى

كالعشب الأخضر الذي جعلَ عينيك بخضرته في الربيع مندهشا

تراب وطين وشجر وأعشاب وخضرة

وبينها نهر يجري

رأته عيناكَ جديدا ، ثم ألفته ، ثم مللته ، فتركته

اندلعَ الجوعُ ثم بالطعام أطفأته

وغيره كمثلهِ ، يثورُ ثم يهدأ فتنساه

كله هكذا يحملُ موته

حتى القصرَ الذي شيدته

حتى السيارة الفارهة التي أثرتك

صارت حديدا صدئا

والقصر انطفأ بريقُ جدارهِ ، وتشققَّ بلاطه ، وانقشعَ لونه

وشعرك الأسود صار أبيضا

لجدار القصر الذي انقشع لونه !

هل عيناك ترى ؟

وهل أذناك تسمع ؟

وهل أنفك يشم ؟

وهل يبرد جلدك ويسخن ؟

وهل قلبك للدم يضخ ؟

وهل لسانك للذة يتذوق ؟

هل أبصرت الغبار والهباءة التي تتطاير حولك في الظَلْمَة ؟!

وهل أنصتَّ إلى سكون الليل ؟

وغلبكَ النوم وسكنتَ وفي المنام حَلَمَتَ

الحياةُ حلم

جئتَ إليها ومنها خرجتَ

كله إلى زوال

فكيف بهذا الزوال انخدعتَ ؟!

لكن يبقى في قلبي حريق على غزة

خيانة عظمى من الداخل

وجور وظلم من الخارج

بعصابة مجتمعة مرتزقة ملتفة

أسياد وعبيد على الطاولة مُرْتَزَة

زعمت أنها لغزة ستبني

لكنها في الخفاء ، لُحماتِها مجتثة

هو الشكل وما خفى

رُبما كثيرُ من قراراتنا الإدارية ، نبعتْ من قراراتٍ شخصيةٍ مخفية

قد ندرك ما خفي ، أو لا ندرك بأنها هي محركاتنا الحقيقية

لكننا نلبسها ثوبا بترقيعاتٍ شخصية

ليس من السهولة الاعتراف بهذه الدواخل الحقيقية

وربما حتى قرارات الأمور التقنية ، وراؤها أمزجة فردية

الاختلاف بينهما : إما إنك صادق فتعترف برغباتك

وإما كاذب ، فتسلك الطرق الملتوية

وبين طرفي الكذب والصدق درجات كمية

قد تكون جاهلا برغباتك الحقيقية

حظ النفس ، والكِبْرُ ، والغرور ، وعدم الاعتراف بالخطأ ،

والمزاج ، والغضب ، والاستبداد ، والهوى ، كلها آفات بشرية

سواءً: أهواءً سياسية ، أم إدارية ، أم اقتصادية وغيرها ،

محلية ودولية

ربما هواكَ خَفِيَ عليك ، أو له أخفيتَ ، وربما لكلٍ هذا لا تلقِ بالاً ولا تدرِ

بأنك ممن يُقَرِّرُ ثم يبرر ! . أينَ ذاك الذي يبرِّر ثم يقرِّر ؟!

لا تتعبْ نفسك في مناقشةِ من كان قراره مزاجه

فلو أحضرتَ كل الأدلة والبراهين وبرهنتَ

لن يقنع إلا بمزاجه ؛ لأن الأمر ليس مبنيٌ بأدلةٍ عقلية

إنما هو رغبةٌ وهوى

وهل يمكنُ أن تجادلَ الهوى

هل يمكن أن تصرفَ رغبة طفلٍ عن لعبة هواها بأدلة عقلية

ومما خفيَ وظهر:

دعاؤنا " اللهم ربنا نجِ المستضعفين " في المسجد

وخارج المسجد وبعد دعاء الخطبةِ ، غنيتَ ورقصتَ ودَّبكتَ

باللعبِ مشغولٌ ، وتبيع بالشعبِ وفيه تحبس وتشتري

كأنَ الشعبَ أغنامٌ بشرية ؟!

وتبتاعُ كرسيا برعْيِ الشعبِ بعملةٍ أجنبية !

من أحزاب الحميرِ والفيلةِ في الانتخابات الرئاسية

أأنت ذئب مع الذئاب ؟ أم في حظيرة الأغنام تجترُ ؟!

أنحنُ بين الأممِ يُحْسُبُ لهُ ويُعْتَدُ ؟!

خلا الدعاءُ من عملٍ !

مَثُلك كمثل من أراد الولدَ وما نكحَتَ !

تريدُ النصرَ ، وعلى خطى الهزيمة مشيتَ

وجهتكَ القدسُ ، وطريق الفاتيكان وكوريا الشمالية سلكتَ

فهل ستصلُ ؟!

يا فقيه الدعاء ، للدعاء ما فَقِهْتَ

غزة تُشعِلُ الحياةَ ، وللحياة تسعى

لأنَّ الاحتلالَ قهرٌ وظلم ، والصهيوني أحاط بالأقصى

وا أسفى يا غزة : أنتِ شِعلةٌ ، لكنكِ بين موتى ومرتزقة !

وهل بالمرتزقةِ والموتى نارٌ تُذْكَى ؟!

هل من الرمادِ ، نتقدُ الجمرة ؟!

فلا يخدعنَّكَ الأمر من أول وهلة

فالفراشة ، كانت على الغصنِ يرقتين على ورقة

لا تخدعك بيرقتها الأولى

فبعد أيامٍ ستدخلُ كيسها وتتعلق فيه وتختفي

لا تيأسنَّ ، فالنصر قادم

إليه نخطو ، وإليه نسعى، فهو خلفَ التلَّ

لحاذرِ الشكلَ وما خفي

وما على اللسان مِنَ حلى

فرُبَّ صدرٍ لأمرٍ آخر حوى !

فما ظهرَ ، غيرَ ما خفي ، وما بطن ، غيرَ ما بدا

انتهى